نص الحديث، وإشكالات بعض الناس عليه

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في نص الحديث، وإشكالات بعض الناس عليه.

الكلمات الافتتاحية: نص الحديث، إشكالات بعض الناس.

I. *المقدمة*

التعرف على نص الحديث، وإشكالات بعض الناس عليه.

II. موضوع المقالة

فمن الأحاديث التي توهم بعض الناس إشكال ظاهرها، ما جاء من قوله النبي ε: ((إن جهنم لتمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها؛ فتقول: قط قط)).

وقد أورد بعض الناس إشكالات على هذا الحديث بناء على معتقدهم الفاسد من تعطيل وتحريف الصفات عن الله Y.

كلام بعض العلماء في تأويل الحديث:

نقل ابن الأثير عن الهروي هذا الحديث في صفة النار : ((حتى يضع الجبار فيها قدمه)) وعند الزمخشري جاء ذكر الرب أولًا ثم أورده بلفظ: ((فيضع قدمه عليها)).

وقال الهروي بعد ذكر الحديث : "روي عن الحسن: يجعل الله تعالى فيها الذين قدمهم من شرار خلقه، فهم قدم الله تعالى للنار كما أن المسلمين قدم للجنة".

ومثله رواه عنه الأزهري، وابن سيده كما نقله عنه ابن منظور.

وروى القرطبي عن النضر بن شميل في معنى الحديث : "أي: من سبق في علمه أنه من أهل النار".

وقال الزمخشري : " وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع، فكأنه قال : يأتيها أمر الله Y فيكفها عن طلب المزيد فترتدع".

وقال القاضي عياض في مادة "جبر": "قيل: هو أحد الجبابرة الذين خلقهم الله لها، فكانت تنتظره، وقيل: الجبار هنا الله تعالى، وقدمه: قوم قدمهم الله تعالى لها، أو تقدم في سابق علمه أنه سيخلقهم لها، وهذا تأويل الحسن البصري، كما جاء في كتاب التوحيد من البخاري هو أن الله ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها، وقيل معناه : يقهرها بقدرته حتى تسكن".

وعند أبي ذر في تفسير سورة (ق): ((حتى يضع رجله)) وإذا أضفنا ذلك إلى أحد الجبابرة كان على وجهه، وإلا كان بمعنى الجماعة التي خلقهم الله لها، والرجل : الجماعة من الجراد، أو يتأول فيه كما يتأول في القدم".

ونقل ابن الجوزي عن الحسن - كما سبق عند الهروي- وعن الخطابي - ولم أجده في غريبه- قوله: إنما يريد بذلك الزجر لها والتسكين من غربها كما يقال للأمر تريد إبطاله: وضعته تحت قدمي، ثم حسنه ابن الجوزي بقوله : "وهذا وجه حسن". وذكر ابن الأثير ما عند الهروي، وأضاف إليه قول الزمخشري، والخطابي من غير عزو.

ويتلخص مما سبق عدة أقوال للمؤلفين:

(١) القدم: الذين قدمهم الله من شرار خلقه.

(٢) القدم: هم الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار.

(٣) وضع القدم: يُراد به الزجر والتوبيخ عن طلب المزيد، والقهر على النار بالقدرة، وإبطال طلبها.

(٤) الجبار: هو أحد الجبابرة الذين خلقهم الله للنار.

(٥) الرجل: رجل أحد الجبابرة.

(٦) الرجل: الجماعة الذين خلقهم الله للنار.

هذه هي بعض أقوال العلماء في تأويل هذا الحديث، وقد عرض بعضها الآخر الحافظ ابن حجر.

وقد وردت أحاديث عديدة في إثبات هذه الصفة لله تعالى، وهذه بعضها:

١. عن أبي هريرة رفعه - وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان- "يقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ε: ((فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله Y من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله Y ينشئ لها خلقًا)).

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ε: ((ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج، ثم يقال : هل امتلأت؟ فتقول : هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج آخر فيقول: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها، فانزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط؟ قالت: قط قط)) .وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ε: ((فيدلي فيها رب العالمين قدمه)).

٣. سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ε قال: ((يلقى في النار أهلها، وتقول: هل من مزيد؟ ويلقى في النار، وتقول : هل من مزيد؟ حتى يأتيها تبارك وتعالى فيضع قدمه عليها)).

٤. عن ابن عباس {: "إن الله الملك - فلما بعث الناس وأحضروا، وسيق أعداء الله إلى النار زمرًا، جعلوا يقتحمون في جهنم فوجًا فوجًا، لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها، ولا يملؤها شيء قالت: ألست قد أقسمت لتملأني من الجنة والناس أجمعين، فوضع قدمه، فقالت: حين وضع قدمه فيها : قد قد، فإني قد امتلأت، فليس لي مزيد، ولم يكن يملؤها شيء حتى وجدت مس ما وضع عليها، فتضايقت حين جعل عليها ما جعل، فامتلأت فما فيها موضع إبرة".

وفي رواية عنه: "... حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها، وهي لا يملؤها شيء أتاها الرب فوضع قدمه عليها ... ولم يكن يملؤها شيء حتى وجدت مس قدم الله تعالى ذكره...".

هذه الأحاديث الصحيحة صريحة في إثبات صفة القدم لله تعالى، ويظهر ذلك فيما يلي:

(١) إتيان الرب -تبارك وتعالى- يشير إلى أن القدم صفة له؛ لأنه إن كان اسمً ا لمن قدمهم للنار من شرار خلقه، كان تقديم إدخالهم في النار أولى من تأخيرهم إلى آخر الدخول، وما كان لإتيان الرب معنى إلا إذ أوله المأول بإتيان أمر الرب على حذف المضاف، بالرأي ودون دليل، فلم تظهر لهذا الأمر فائدة أيضا؛ لأن من دخل النار لم يدخل إلا بأمره.

(٢) تفسير القدم بالرجل في الرواية الثانية يظهر أن اللفظين يثبتان صفة حقيقية واحدة لله تعالى.

(٣) قول ابن عباس: "حتى وجدت -أي: النار- مس ما وضع عليها"، و"حتى وجدت مس قدم الله تعالى ذكره " صريح في إثبات القدم حيث ذكر له أن النار وجدت منه مسًّا حينما وضع عليها، ذلك بعدما نفد من كان عليه دخول النار.

(٤) جاء في الحديث بعد ذكر وضع الرجل والقدم، وامتلاء النار وانزواء بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله Y من خلقه أحدًا، قال الحافظ ابن حجر : "فإن فيه إشارةً إلى أن الجنة يقع امتلاؤها بمن ينشئهم الله لأجل ملئها، وأما النار فلا ينشئ لها خلقًا، بل يفعل فيها شيئًا عبر عنه بما ذكر يقتضي لها أن ينضم بعضها إلى بعض".

وفيما سبق ذكرنا ما أثبت الله لنفسه على لسان نبيه من صفة القدم إجراء للفظ على ظاهره، ولا نتخيل فيها مشابهة للمخلوقين فنؤولها، ولا ندرك حقيقتها فنكيفها، ولا يحملنا عدم معرفة كنهها أن ننكرها.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن ين فورك الأصبهاني، مش كل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشي، بدر الدين الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المدينة المنورة، مكتبة الدار السفلية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه، صحيفة همام بن منبه، شرح وتحقيق : رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبه، محمد بن محمد أبو شهبه، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم،١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.